

الثلاثاء 26 فبراير 2008

ونشرت أيضا في:



بنفس التاريخ

صوت الضمير المصري..

فهيم هويدي

تلقيت عدة تعليقات حول ماكتبته في هذا المكان خاصا بعبور الفلسطينيين المحاصرين للحدود في سيناء. وكان ابرز ما فيها انها تحدثت بلغة أخري وروح مغيرة لما ساد في أغلب وسائل الاعلام المصرية. وقد انتقبت منها تعليقات لثلاثة من ابرز المتقنين المصريين، هم الدكتور رؤوف عباس استاذ التاريخ بجامعة عين شمس، والمستشار طارق البشري النائب السابق لرئيس مجلس الدولة. والدكتور سيد مصطفى سالم استاذ التاريخ بجامعة صنعاء. أراؤهم كما تلقيتها:

(1) أرقب بحزن شديد ماتداوله وسائل الاعلام من كتابات وتصريحات تلوك الأمن القومي لمصر بصورة مزرية مغلوبة تتنافي مع حقائق التاريخ والجغرافيا ومبادئ علم السياسة وابعديات الأمن القومي. ذلك ان إدارة الظهر لكل مايجري علي أرض فلسطين معناه عمي الألوان عن التمييز بين الصديق والعدو، وهو مايعرض أمن هذا الوطن لخطر داهم ويرشحه لمخططات التنقيت التي لم يعد امرها سرا.

فلسطين ياسادة بوابة مصر الشرقية منذ أقدم العصور وأمن مصر وسلامتها رهين بما يدور علي أرضها حقيقة واضحة لكل من يجيد قراءة التاريخ، منذ عصر رمسيس الثاني حتي عصر جمال عبدالناصر، حيث أدرك حكام مصر أن حماية بلادهم تقتضي عدم التفاوضي عن وجود من يعاديه علي بوابتها الشرقية بل ماوراءها حتي جبال طوروس جنوب الأناضول.

ويكفي ان نورد مثلا واحدا لذلك، فحمل مصر لأعباء النضال ضد الغزو الصليبي والغزو المغولي علي مدي مايقرب من القرون الثلاثة علي اختلاف العهود لم يكن مجرد أداء لفريضة الجهاد. ولكنها كانت تدرأ عن نفسها خطرا داهما لو تقاعست عن مواجهته لأصابها في مقتل يهدد وجودها.

هذه الحقيقة وعاها محمد علي باشا بفطرتة، حين أدرك ان مشروعه لاقامة دولة مستقلة في مصر يحتاج إلي تأمين الشام انطلاقا من فلسطين، بل ان كل من يقرأ مراسلات ابراهيم باشا إلي أبيه محمد علي سوف يكتشف ان ابراهيم كان يدرك تماما أهمية تأمين المنطقة الممتدة من جبال طوروس شمالا حتي غزة كدرع لحماية مصر أو كمتطلب للأمن القومي المصري. وهي حقيقة وعاها تماما مصطفى النحاس باشا عام1936 أيام الثورة الفلسطينية الكبرى، عندما طلب منه المندوب السامي البريطاني اللورد كيلرن اصدار بيان يدعو الفلسطينيين الي التعايش مع اليهود فرد برفضه القبول بوجود كيان في فلسطين يعرض امن مصر للخطر. وهي حقيقة وعاها جمال عبدالناصر عندما رفض القبول بمشروع تسوية القضية الفلسطينية والاعتراف بالكيان الصهيوني عام1955 فكان ذلك في مقدمة اسباب عدوان1956.

مأحوجنا إلي صحوة الضمائر وإدراك ضرورة التمييز حرصا علي سلامة هذا الوطن الذي لن يغفر التاريخ جرم من فرطوا في أمنه القومي علي نحو غير مسبوق. د. رؤوف عباس

(2) أفي كل يوم صار حتما علينا أن نعيد الحديث ونكرره في المسلمات وفيما ينبغي أن تكون عليه السياسات الوطنية لمصر، حماية لأمنها وأمن المصريين الجماعي؟

أفي كل يوم صار حتما علينا ان نزيد ونعيد ونقول، بان فلسطين ليست شأننا فلسطينيا، وأن القوي العالمية لاتهمم بها لذاتها، ولكن يجري الاهتمام بها لموقعها و لإمكان السيطرة بها علي الآخرين من بلاد العرب، وان اسرائيل لم تزرع عندما زرعت إلا من أجل ضمان بقاء السيطرة الاستعمارية علي مصر؟

ان هناك اطنانا من الكتب والمقالات والدراسات تتحدث عن التاريخ والجغرافيا ومسائل الأمن القومي لمصر وبلاد العرب ودور اسرائيل المدمر للمستقبل العربي كله وامن شعبه واقطاره ودوله. يكفي ان هذه المنطقة منذ انزرت اسرائيل في قلبها. لم تعرف استقرارا سياسيا أو عسكريا أو اقتصاديا.

يذكر امين هويدي وزير الدفاع الذي أعاد بناء الجيش المصري بعد حرب1967 ورئيس المخابرات العامة، أن حرب1967 مثلا بدأت من سنة1952 أما نهايتها فلم تتحدد بعد ولايعرف احد متي ولاكيف تكون(حرب1967 الطبعة الأولى2006 ص17). ويلاحظ اللواء المرحوم حسن البديري المؤرخ العسكري الشهير تكرار الجولات الحربية مع اسرائيل بفواصل زمنية قصيرة نسبيا(الحرب في أرض السلام1967 ص14). وهي صارت الآن ثماني حروب وانتفاضات مسلحة خلال ستين سنة، بمتوسط أقل من ثماني سنوات فارقا زمنيا بين كل واحدة والأخري. ولاتزال كتابات اللواء الدكتور فوزي محمد طایل استاذ الاستراتيجية الشاملة، وكتابات اللواء المرحوم صلاح سليم وأحاديثه ودراساته حية في أذهاننا، نعرف منها من هو العدو من الصديق.

هل نشأ بيننا اليوم من لايعرف من هو العدو ومن هو الصديق، فينظر إلي الشعب الفلسطيني باعتباره شعبا يغزو مصر وأرض سيناء، ولايدرك الخطر علي بلده وشعبه من القوة العسكرية الاسرائيلية الصهيونية ذات السلاح النووي والأطماع التوسعية؟ ألم يعرف هذا الناشئ فينا من قتل جنودنا وأهالينا واحتل أرضنا وبني عليها المستوطنات حتي حررتها قواتنا المسلحة؟

أقصد بالناشئ بيننا أصحاب هذه الأقوال المستتبئة التي لم نعرفها قط من قبل، فلم نعرف من قبل مصريين يقولون إن خطرا يهدد بلدهم يأتيهم من الشعب الفلسطيني والعربي، ولاياتهم من اسرائيل وقواتها المسلحة. وقد قامت الحركات الوطنية المصرية طوال القرن العشرين علي هدف الاستقلال الوطني، وهي بهذا تستهدف إجلاء المحتل الأجنبي إن وجد محتل، وتستهدف علاقات وثيقة مع السودان المستقل أن تهدده خطر من خارجه، وتستهدف أيضا الوقوف مع الشعب الفلسطيني ضد الغزاة لأرضه، لأن في هذا الوقوف مكافحة للخطر الذي يتهدد مصر بمثل مايتهدد الفلسطينيين.

أنا لأعرف من أي مورد فكري أو سياسي جاء هؤلاء الناشئون بيننا. إذ في بضع سنوات وجدناهم متصدرين ومتربعين، ويقولون بالتحالف الاستراتيجي مع العدو الاستراتيجي المتمثل في اسرائيل والولايات المتحدة، ويتكلمون عن الأمن القومي بحسبانه أمن افراد ومصالح فردية وليس امن شعب وجماعة سياسية ووطن فداء أبناؤه دائما بأرواحهم.

إن العسكريين الوطنيين المصريين، هم من علمونا أن لأمان لمصر كأرض وشعب، متي وجدت دولة معادية لها في فلسطين أو في السودان، وهم يقصدون بالدولة المعادية أن تكون هذه الدولة ذات قوة قادرة علي الفعل العسكري دون أن تملك أنت أن تقاومه أو ترده، وأن تكون هذه الدولة ذات سياسات متناقضة للسياسات التي تتبعها دولتك تحقيقا لما تراه صالحا لها. وهذا بالضبط هو موقف اسرائيل بالنسبة لمصر.

وغزة بالذات كانت خاضعة للإدارة المصرية من سنة1948 حتي1967، واحتلتها اسرائيل من أيدينا في حرب تلك السنة، وساومنا نحن اسرائيل علي سياساتنا كلها ومستقبلنا كله وتميئنا المستقلة كلها، وساومناها علي نزع السلاح

المصري من سيناء المصرية، ساومتنا بذلك كله مقابل ان تجلو عن سيناء وتبرم معنا اتفاقية سلام، برغم اننا كنا منتصرين في حرب 1973. وتركنا لهم غزة التي كانت عهدة في رقيتنا السياسية. واليوم تعلق أصوات بأن أهالي غزة الفلسطينيين خطر علي الأمن القومي المصري، أهالي غزة وليس جيش اسرائيل هم الخطر علي مصر.

إن جاز أن يرفع أمر من أمور هذه الدنيا إلي مرتبة القداسة، فهو مسألة الأمن القومي، لأن فيه أمان الجماعة ومصيرها علي المدى الطويل. ولذلك فهو لا يقبل تلاعبا ولا خفة في المعالجة، ولأنه هو مما نموت دفاعا عنه ونكون شهداء. وما من أمة تختلف بعضها مع بعض في مسائل أمنها القومي أو تتخذ مسائله مجرد أدوات لصراعات سياسية يومية بين اتجاهات حكومية ومعارضة. إننا إن التيس علينا أمر كهذا مع وضوحه وحسمه وتبلوره بخبرة التاريخ ومحن السياسة ودماء الشهداء، نكون إذن من الهالكين، وقانا الله شر المصير - والحمد لله. طارق البشري

(3) هل يحق لنا أن نمن علي الفلسطينيين بأننا بذلنا الدم والمال والجهد، وضحينا من أجلهم وليس من أجل مصر وأمنها؟

لقد أصابتنى الدهشة والتعجب عندما وجدت السؤال مطروحا في الساحة المصرية، لأنني أنظر إلي القضية باعتبارها قضيتي الخاصة، وقضية مستقبل مصر وأمنها. لقد جاء لص خبيث ودنيء، ووضع قنبلة أمام باب منزلي عام 1917م (الذي صدر فيه وعد بلفور) مستغلا ظروف ذلك العام الوطنية والقومية والدولية. وهي ليست قنبلة موقوتة كما قد يظن البعض، بل هي قنبلة شيطانية تنمو وتتفجر من حين إلي آخر. وفي تفجرها المستمر تنمو وتترعرع وهي محاطة بلصوص دوليين يباركون ترعرعها وتفجره. ولم نسمعها حينذاك رغم أنها كانت أمام باب منزلنا بل تجاهلنا انفجاراتها المستمرة. ولم تكتف بذلك بل أعلنت عن وجودها للعالم عام 1948م حيث أسرع باقي اللصوص إلي الاعتراف بها، وحينذاك اكتوي المستمعون فقط بنارها، ونالتهم فرقتها وشظاياها. واستمر ذلك شأنها، ولانشعر بأنها تنمو إلا كلما ازدادت فرقتها، حتي دخلت صحننا (سيناء) وأغلقت سلم منزلنا (قناة السويس) مدة تزيد علي العقد. ولم يكن لنا حركة الا من فوق أسطح الجيران غربا وجنوبا. ونتيجة هذا الاختناق تحركت لأخرج هذه الشعلة من سلم المنزل وصحنه، وكان لهذا الخروج ثمنه الغالي، إذ دعت باقي ال لصوص لوضع أقدامهم في الصحن لحمايتها، وظلت تفرقع وتشتعل أمام باب منزلي لتتشغلي وتشغل باقي الجيران، بينما هي تنوهج وتزداد فرقة. فملكتم مالم نملك وحازت سلاحا تخلينا عنه منذ مدة ثم بدأنا نفكر فيه الآن.

<http://www.alwasatparty.com/modules.php?name=News&file=article&sid=7353>
http://www.moheet.com/show_files.aspx?fid=93175&pg=2